

سلسلة: إتحاف الحاضر والبادي بتفريغ أشرطة العلامة الشيخ محمد بن هادي (٤٥)

تفريغ كلمة بعنوان:

«فضل العلم وتعلمه،

والحث على حضور الدروس العلمية»

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله -

اعتناء

أبي قصي المدني

- عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه والمسلمين أجمعين -

بسم الله الرحمن الرحيم

«فضل العلم وتعلُّمه، والحث على حضور الدروس العلمية»

لفضيلة الشيخ محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله - (١)

«الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحد لا شريك له،
إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أنَّ محمدًا عبده، ورسوله،
وصفيُّه، وخليله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله
وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

فيا أيها الإخوة الكرام:

يسرُّني في هذه الليلة -ليلة الثلاثاء- التي يُصبح فيها هذا اليوم يوم الثلاثاء الموافق
للخامس من شهر ذي القعدة، عام اثنين وأربعين وأربع مئة وألف من هجرة المصطفى ﷺ،
يسرُّني -معاشر الأحبة- وقد زارني في بيت والدي -رحمه الله تعالى- بمدينة جازان، **جازان**
العلم -حفظها الله وبلاد المسلمين من كل مكروه-، زارني إخوة أفاضل، ومشايخ كرام، وقد
طلَّب مني أخي في الله الشيخ إبراهيم زيلع أبو عبد الرحمن -وفَّقَه الله وجميع من يسمع كلامي
هذا- طلب مني بمناسبة طول الإجازة الصيفية في هذا العام، وافتتاح بعض الدورات العلمية
«**عن بُعد**» بواسطة وسائل التواصل، طلب مني كُليّاتٍ أحتُّ فيها نفسي وإخواني وأبنائي
المستمعين لهذه الكلمات في كل مكان أحتُّهم، كما أحتُّ نفسي قبلهم على استغلال الأوقات،
واغتنام الساعات، وصرفها في الطاعات.

(١) ألقاه فضيلته في منزل والده رحمه الله بمدينة جازان، ليلة الثلاثاء، الموافق للخامس من ذي القعدة ١٤٤٢ هـ.

وإن أعظم ما ينبغي للإنسان أن يُنفق فيه أوقاته، وأن يستهلك فيه ساعاته:

طلب العلم الشرعي الذي يُنير له الطريق إلى الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيْمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

فسمّاه الله ﷻ روحًا، ونورًا، وهذا القرآن الذي أنزله الله على عبده ورسوله نبينا محمد سمّاه الله نورًا، فالعلم نورٌ يستضاء به، يستضيء به الساري في ظلمات الجهل، فيُبصر طريقه فلا يحيد يمينًا ويسرةً حتى يصل إلى مكانه المطلوب.

وإنَّ المكان المطلوب لنا جميعًا - معاشر الأحبة -: هو جنات النعيم، وهذه الجنة هي سلعة الله الغالية التي ينالها من كل ألفٍ واحد، كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ:

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتُ رَخِيصَةً بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الْكَسَلَانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا فِي الْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا اِثْنَانِ (١)

فالطريق إلى الجنة مخوفة بالمخاطر، مخوفة بالشهوات، ومخوفة بالشبهات، ومخوفة بطرق هذا وهذا، وعلى كل طريق شيطان يدعو إليه، مَنْ أجابه إلى ما دعاه قذفه في نار جهنم، نسأل الله العافية والسلامة.

والصراط المستقيم عليه كتاب الله - تبارك وتعالى - الذي هو النور المبين، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ

نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

والشاهد: إنَّ العلم هو الذي يُنور الله ﷻ به قلب صاحبه، فيرى الحق من الباطل، ويرى الهدى من الضلال، ويرى السُّنة من البدعة، ويرى الصواب من الخطأ، ويرى الإسلام من

(١) الأبيات من «الكافية الشافعية في الانتصار للفرقة الناجية - ط عالم الفوائد» (ص ٢٩٧) للإمام ابن القيم رحمه الله.

الكفر، فيُميّز بين هذا وهذا، وهذا فضل الله -تبارك وتعالى- يؤتيه من يشاء، والله ﷻ يختص برحمته من يشاء، ومن هداه الله فقد رضي عنه، فإنَّ الله ﷻ يُعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يُعطي الدين إلا من يحب، و«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (١).

فالازدياد من العلم -يا معاشر الأحبة- بالالتحاق في هذه الدورات، واستماع دروس الأشياخ، والحضور فيها، ومن فاته استمعها مُسَجَّلة، أو استمع إلى المقاطع التي تُجزأ منها وتنشر، هذا فضل عظيم، وخير نفعه عميم؛ إذ قد يسّر الله ﷻ هذه الوسائل. وهذه الوسائل ظهر فضلها في هذا الزمن من ناحيتين:

الناحية الأولى: الأماكن البعيدة التي لا يستطيع فيها طلبة العلم والمشتاقون إلى العلم لا يستطيعون الورد على العلماء في ديارهم، فأصبحوا يسمعونهم مباشرة وهم في بلدانهم، أو يرونهم وهم في بلدانهم، فكأنهم بين أيديهم.

والأمر الآخر أو الأمر الثاني في هذه الجائحة: أصبحت هذه الوسائل من فضل الله -تبارك وتعالى- علينا أصبحت لها نفع عميم، ولها دور عظيم في نقل العلم النافع، وإيصاله إلى الناس في شتى بقاع العالم، فحينما قلَّ التواصل، أو انعدم، وأصبح التدريس في المساجد معدومًا، أو شبه معدوم في بعض البلدان؛ أصبحت هذه الوسائل من فضل الله -تبارك وتعالى- أصبحت طريقًا مُسهَّلًا للعلم، وطريقًا مُسهَّلًا لإبلاغ دين الله الحق، وتوضيح شرع الله -تبارك وتعالى-، وهذا من توفيق الله ﷻ ومن رحمته وفضله، «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» (٢).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٧١)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٦٩٩).

فهذا من تسهيل الله -جلّ وعلا-، ومن فضله ﷺ وإحسانه إلينا في هذا الزمن، فيجب علينا أن نشكر الله -جلّ وعز-، وأن نستخدم هذه الوسائل فيما يعود علينا بالنفع، وفيما يعود علينا بالفائدة.

وحينئذ يعرف الإنسان فضل الله -تبارك وتعالى- عليه في هذه الحياة، حيث خلق له ويسر له، وأوجد له ما لم يكن في الحسبان، وسبحان الله العظيم! لا إله إلا هو، آمنت به، وعليه توكلت، كيف أوجد هذه الوسائل في مثل هذه الأوقات، فظهر النفع بها، أهل الباطل يُفسدون بها، وأهل الحق يتفَعون منها، ويَنفَعون بها، فنسأل الله -جلّ وعلا- أن يجعلنا وإياكم من النافعين المتفَعين.

فالله الله -يا معاشر الأحبة- بالحرص على استغلال الأوقات، واغتنام الساعات في الاستماع لهذه الدورات النافعة، والدروس الماتعة، والمجالس النصيرة التي إذا رأيت أصحابها إن كانت منقولة بالصوت والصورة كأنما أنت معهم في حلّقتهم وهم في بلدانهم، وأنت في بيتك، فهذه من نِعَم الله -تبارك وتعالى- علينا.

فالواجب علينا جميعاً: أن نحمد الله -جلّ وعلا- عليها، وأن نستغلها فيما يعود علينا بالنفع.

والحاصل -معاشر الأحبة-: العلم الشرعي صاحبه فقيراً، ولا يزال يحتاج إلى الازدياد؛ لأنَّ النبي ﷺ قد أخبر عن ذلك، فقال: «مَنْهُوَ مَنْ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا»^(١).

(١) هذا الحديث روي مرفوعاً، وروي موقوفاً، فأخرجه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- مرفوعاً: أبو خيثمة في «العلم» برقم (١٤١)، والبزار في «مسنده» برقم (٤٤٨٠)، والطبراني في «الكبير» برقم (١١٠٩٥)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» برقم (١٧٤١)، وأخرجه موقوفاً عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: ابن أبي شيبة في «المصنف - ت عوامة» برقم (٢٦٦٤٢)، وابن عبر البر في «جامع بيان العلم وفضله - ت السعدني» برقم (٤٣٨)، وانظر: «مسند الدارمي» «كتاب العلم، باب في فضل العلم والعالم»، و«المشكاة» للألباني (٨٦/١).

فطالب الدنيا كلما جاءه من خير الدنيا شيء تمنى الزيادة منه، وهكذا طالب العلم، وهكذا أهل العلم، وهكذا العلماء؛ كلما أنار الله بصائرهم ومنّ عليهم وفقههم ومنّ عليهم في هذا الجانب بزيادة العلم؛ فإنهم يزدادون خيراً إلى الخير الذي معهم، ولا يزالون يحبون الازدياد. والدعاء في هذا الباب معلوم ومشهور للجميع، فإن الله ﷻ لم يأمر نبيه وخليله وعبداه ورسوله ﷺ أن يطلب الزيادة من شيء في هذه الحياة الدنيا إلا من العلم، فقال -جلّ وعلا-: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

فإذا كان هذا أمر الله -تبارك وتعالى- لرسوله ﷺ فما عسى أن نقول نحن! فنسأل الله -جلّ وعلا- أن يزيدنا وإياكم علماً، وأن يزيدنا وإياكم فقهاً، ونوراً، وهدىً، وتقىً. وكلما ازداد المرء علماً؛ كلما ازداد معرفة بنفسه، وكلما ازداد معرفة بعدوه، وكلما ازداد معرفة بدار البقاء، وكلما ازداد معرفة بدار البلاء، فتجافى عن دار البلاء، ودار الأذى، ودار النقص، ودار الشقاء، وتباعد عنها، وسعى، وجدّ، وشمر للوصول إلى دار البقاء؛ دار النعيم المقيم، جنات عرضها السماوات والأرض، تجري من تحتها الأنهار، كما وصفها ربنا -تبارك وتعالى- بالأوصاف العظيمة في كتابه العظيم.

فالله الله -يا معاشر الأحبة-:

أوصيكم ونفسي بالفقه في دين الله، والحرص على التفقه في دين الله؛ حتى تحصل لنا ولكم جميعاً البشارة التي بشر بها الرسول ﷺ وهي الخيرية «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، جعلنا الله وإياكم من عباده الأخيار، العباد الأبرار، والصالحين النافعين، والمتفيعين. أيها الإخوة الكرام: إن العلوم لا تأتي إلا بالصبر، والمواظبة، والمجاهدة، والمثابرة، والتأصيل لها على الطريق الصحيح الذي كان عليه علمائنا الأوائل، وأشياخنا الأماثل، فقد بلغوا إلى درجة عظيمة، نفعهم الله، ونفع بهم، ورفعهم الله -تبارك وتعالى-، ورفع ذكرهم،

فأولئك الذين هدى الله، فالواجب علينا جميعاً أن نهتدي بهم، نسأل الله ﷻ أن يوفّقنا وإياكم
لذلك:

فإِنْ أَرَدْتَ رُقِيًّا نَحْوَ رُتَبَتِهِمْ وَرُمْتَ مَجْدًا رَفِيْعًا مِثْلَ مَجْدِهِمْ
فَاعْمَدْ إِلَى سُلَّمِ التَّقْوَى الَّذِي نَصَبُوا وَاضْعَدْ بَعْزَمٍ وَجْدٌ مِثْلَ جِدِّهِمْ^(١)

فنسأل الله -جلّ وعلا- أن يرزقنا وإياكم العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يُفَقِّهنا في
الدين، وأن يُثَبِّتنا وإياكم على الإسلام والسُّنَّة، وعلى الحق والهدى حتى نلقاه، وألا يزيغ قلوبنا
بعد إذ هدانا، وأن يجعلنا وإياكم من حزبه المفلحين، وأوليائه المتقين، إنه جواد كريم.
وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه
بإحسان، والحمد لله رب العالمين» اه.

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيِّ الْمَدَنِيِّ

-عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ وَمَشَائِخِهِ وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ-

فِي الْخَامِسِ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ عَامِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ

tafrigh-1438@hotmail.com

(١) من «المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية» للشيخ حافظ الحكمي رحمه الله.